الامية والتخلف الاقتصادي

الدكتور منصور الراوى

على الرغم من الاهمية الاساسية للثقافة بالنسبة للتطور الاقتصادى، على الرغم من أهمية الدور الذى يمكن للجهل ان يلعبه فى تثبيت وادامة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فان الكثير من الكتاب المعنيين بالموضوع لا يعيرون هذه الناحية الاجتماعية أهميتها المستقلة فى ميدان التطور الاقتصادى • وقد يرجع ذلك الى الصعوبات التى يجابهونها فى موضوع جمع الاحصائيات والدراسات الخاصة بهذه المسألة • وقد أصبح هذا النقص فى الاحصاء أمراً مألوفا فى الاقطار المتخلفة ويرجع سببه بطبيعة الحال الى التأخر العام الذى تشكو منه هذه الاقطار ؛ ومن جملة ما تشكو هو الجهل • ذلك يجرنا الى القول بان نقص الدراسات والاحصائيات فى موضوع التعليم يعود ، الى تجاهل اهمية الموضوع والى التخلف الفعلى فى هذه المادة الاساسية ، أى انه يعود الى الجهل نفسه •

يعم الجهل جميع الاقطار المتخلفة ولكن ذلك يقع على درجات متفاوتة • ويصح التساؤل فيما اذا كانت هذه الاقطار تشكو التخلف فى الميدان الاقتصادى بصورة عامة أكثر مما تشكو من تخلفها فى موضوع التعليم •• واذا كان الجهل يعتبر احدى المميزات الاساسية للتخلف الاقتصادى فان ذلك يعنى أيضا مقدار تأثير هذا العامل على التخلف الاقتصادى نفسه فيزيد من خطورته • وبامكانه ان يلعب دورا مهما أيضا ضد التطور الاقتصادى ، هذا التطور الذى يتطلب بطبيعة الحال حدا أدنى من الثقافة الاساسية •

ولاجل معرفة مقدار تأثير هذا العامل على التخلف الاقتصادى تتحتم دراسة الوقائع أولا ومن ثم التطرق الى الآثار الاقتصادية والاجتماعية للجهل ثانيا •

القسم الاول

دراسة وشرح الوقائع

تهتم هذه الدراسة ، فيما يتعلق بالاقطار المتخلفة ، بموضوع الجهل العام أو بموضوع الامية Analphabetisme أكثر من اهتمامهـــا بموضوع الثقافة الاساسية بالنظر لـكون الاصطلاح الاخير شديد العمومية والغموض : فهو ينطبق على جميع الاقطار بما فيها الاقطار المتطورة • ان الغرض من ذلك هو التأكيد على ان التأخر فى هذا الميدان متحقق سواء من الناحية النوعية ـ نقص فى الثقافة العليا والمهنية مثلا ـ أم من الناحية الكمية ـ النسبة العالية للامية ـ • ان هاتين الناحيتين تشكلان فى الواقع عاملين يؤثر احدهما فى الآخر بشكل يؤدى الى زيادة فى خطورة المشكلة : فنقص الثقافة مثلا يعمل على ضياع الـكفايات وتبديد لقابليات الشباب الناهض من السكان • ويؤدى الامر فى النهاية الى تعويق التطور الاقتصادى العام أو حتى الى زيادة فى خطورة التخلف الاقتصادى والاجتماعى • لهذا كله ستقسم بحث هذا القسم الى ثلاثة فصول :

١ ـ النقص الـكمى للثقافة : نسبة الامية •

٢ ـ النقص النوعى للثقافة : مستوى الثقافة •

٣ ـ نقص فى العوامل الاساسية للثقافة •

الفصل الاول

نســـبة الاميـــة

تشـــير احصائيات الامم المتحدة الى ان نسبة الاشخاص الذين تزيد أعمارهم على ١٥ سنة والذين يجهلون القراءة والـكتابة تقارب الـ ٤٥٪ فى العالم • الا ان هذه النسبة موزعة توزيعا غير متكافىء بالنسبة لمختلف مناطق العالم •

ويشير الجدول التالى الى مقدار هذا التفاوت فى نسبة الامية ويظهر لنا مقدار التأخر الذى يصيب المناطق المتخلفة اقتصاديا من العالم •

المنطقة	نسبة الامية
١ ـ اوربا الشمالية والغربية ، امريكا الشمالية • استراليا • زيلاندا الجديدة • الاتحاد السوفييتى	٥ ٪
٢ ـ اوربا الجنوبية	٢٠٪
٣ ـ امريكا الوسطى والجنوبية	٤٠ـ٤٤
٤ ـ آسيا الشرقية	٤٥ـ٥٠
٥ ـ جنوب شرقى آسيا	٦٥ـ٧٠
٦ ـ جنوب غربى آسيا	٧٥ـ٨٠
٧ ـ آسيا الجنوبية • افريقيا	٨٠ـ٨٥

المصدر ـ تقرير لهيئة الامم المتحدة حول الوضع الاجتماعى فى العالم ، نيويورك ١٩٥٧ ، ص ٧١ •

وبالرغم من ان النتيجة التى يعطيها هذا الجدول واضحة وهى ان نسبة الامية لجميع المناطق المتخلفة تزيد عن المعدل العالمى ، الا أن هذه النتيجة تبقى مع ذلك غير معبرة بصورة دقيقة عن حقيقة الوضع بالنظر لتقسيم العالم الى مناطق واسعة كما جاء فى الجدول أعلاه • **فمن الواضح ان هذه النسبة يمكن ان تتفاوت من قطر الى قطر ومن منطقة الى منطقة أخرى داخل** القطر الواحد بالنظر الى التفاوت فى درجة التخلف العام • ولاجل تلافى هذه الصعوبات يستحسن تصنيف كل قطر أو كل منطقة الى مجموعات مختلفة بحسب درجة الامية فى كل منها • ان المثال التالى يوضح توزيع

١٣٧ قطرا ومنطقة تبلغ نفوس كل منها أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة توزيعا جغرافيا مع تبيان نسبة الامية فى كل منها .

المنطقة	عدد الاقطار التى تبلغ فيها نسبة الامية مقدار			
	٢٠٪ فأقل	٢٠-٥٠	٥٠-٨٠	٨٠ فاكثر
١ - افريقيا الشمالية	-	-	١	٩
٢ - افريقيا الاستوائية والجنوبية	-	٣	١٠	١٦
٣ - امريكا الشمالية	٢	-	-	-
٤ - امريكا الوسطى	١	٩	٥	١
٥ - امريكا الجنوبية	٣	٦	٣	-
٦ - اسيا الشرقية الجنوبية وجنوب شرقى آسيا	١	٦	٥	١٢
٧ - آسيا الجنوبية الغربية	١	١	٣	٦
٨ - اوربا	١٩	٧	-	-
٩ - منطقة الاقيانس	٤	١	-	٢
١٠- الاتحاد السوفياتى	١	-	-	-

(المصدر السابق ص ٧٢)

ان الوضع الخاص بالاقطار المتخلفة يزداد سوء لو اخذنا بنظر الاعتبار تأخر الاحصاء العام . ومن جهة اخرى فان نسبة كبيرة من الاشخاص قد اعتبروا ضمن المتعلمين بمجرد تعلمهم الكتابة والقراءة بالطرق التقليدية ، والتى قد لا تكون مطابقة للطرق الحديثة لتعليم القراءة والكتابة . ففى اغلب

المجتمعات الاسلامية مثلا يجيد عدد غير قليل من الافراد قراءة القرآن وبعض الكتب الدينية المخطوطة بطرق خاصة وباللغة العربية الا انهم لا يستطيعون قراءة الكتب الاعتيادية • ان الاحصائيات فى الاقطار المتخلفة تدخل مثل هؤلاء الاشخاص ضمن المتعلمين أو انصاف المتعلمين[1] كما ان هناك اشخاصا تعلموا القراءة والكتابة بشكل خاص وبمعنى خاص • ان مثل هؤلاء الاشخاص يصعب حسابهم بمصاف المتعلمين • كما ان وجود نسبة من انصاف المتعلمين[2] فى الاقطار المتخلفة بصورة خاصة من شأنه أن يزيد فى تعقيد مسألة الاحصاء وتسوية نتائجه • ومن المفيد أن نشير هنا الى مقدار عدد الاشخاص الذين يعتبرون انصاف منعلمين فى الاقطار المتخلفة • ويوضح ذلك الجدول التالى :

---

(١) لنتذكر فى هذه المناسبة ان وضع حد فاصل بين المتعلم وبين غير المتعلم أصبح من الامور الصعبة • ان لجنة السكان فى هيئة الامم المتحدة قد اوصت ـ لاغراض احصائية ـ ان يكون الشخص المتعلم قادرا على كتابة وقراءة رسالة اعتيادية بلغة معينة ـ راجع كتاب اليونسكو : الامية فى أقطار مختلفة سنة ١٩٥٣ ، ص ١٣ •

(٢) يعد الشخص نصف متعلم اذا كان يحسن القراءة دون الكتابة أو الكتابة دون استطاعته كتابة غيره مثلا •

القطر والسنة		الحد الادنى للعمر	نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة	نسبة الذين يجيدون القراءة فقط	نسبة الذين يجهلون القراءة والكتابة
١ ـ الهند : ولاية دلهى	١٩٤١	٥	٢٩ر١	٠و٦	٧٠و٣
ولاية جيبور	١٩٤١	٥	٦ر٢	٠و٥	٩٣ر٣
٢ ـ المكسيك	١٩٤١	١٠	٤٦	٢ر٥	٥١ر٦
٣ ـ تركيا	١٩٤٠	١٠	٣٠ر٥	٠ر٣	٦٩ر٣
٤ ـ اسبانيا	١٩٤٠	١٠	٥٦	٠ر٨	٤٣ر١
٥ ـ يوغوسلافيا	١٩٣١	١١	٥٤ر٨	٠و٦	٤٤ر٦
٦ ـ الولايات المتحدة	١٩٣٠	١٠	٩٤	٠ر٥	٥ر٤

المصدر : اليونسكو : الامية فى العالم ، ١٩٥٣ ص ٢١ ـ ٢٢

ان مسألة الاعمار فى هذا الموضوع لها أهمية خاصة فيما يتعلق بدقة الاحصائيات • وبالنظر لكون الاحصائيات المتعلقة بتوزيع السكان حسب الاعمار غير دقيقة ومعرضة للاخطاء والاحتمالات كما هو شأن جميع الاقطار المتخلفة فيبدأ عادة بعمر يقل كثيرا عن الـ ١٥ سنة لحساب نسبة الاميين ، هذا العمر الذى يعتبر اعتياديا بالنسبة للاقطار المتقدمة • كما ان هناك كثيرا من الاقطار لا تأخذ بهذا المبدأ اطلاقا ، ولا ريب ان النتائج ستظهر حينئذ مشوهة وغير معبرة عن الواقع • ومن جهة ثانية فان هناك بعض الدول المتخلفة لا تأخذ بنظر الاعتبار اهمية الجنس فى هذا الموضوع • ومن المعلوم جيدا ان التأخر الذى يلحق بالاناث فى موضوع الامية يفوق كثيرا التأخر الذى يلحق بالذكور • ولذلك فان عدم التمييز بين الجنسين فى مثل هذه الدراسات يؤدى حتما الى عدم التعبير عن حقيقة الامر • وفى الجدول التالى نحاول ان نعطى صورة عن نسبة الامية على ضوء هذه الظروف بالنسبة لبعض الاقطار المتخلفة والمتقدمة :

القطر والسنة	مقياس التعليم	مستوى العمر	نسبة الامية المجموع	نسبة الامية الذكور	نسبة الامية الاناث
الجزائر : السكان الاوربيين ١٩٤٨	ق[1]	١٥ سنة فأكثر	٨	٧	١٠
السكان المسلمين ١٩٤٨	ق	١٥ سنة فأكثر	٩٤	٨٩	٩٨
مصر ١٩٤٧	ق٠ك	١٥ سنة فأكثر	٨٠	٦٩	٩١
المكسيك ١٩٥٠	ق٠ك	٦ سنة فأكثر	٤٣	٤٧	٤٠
البرازيل ١٩٥٠	ق٠ك	١٥ سنة فأكثر	٥١	٤٥	٥٦
الهند ١٩٥١	ق٠ك	١٥ سنة فأكثر	٨١	٧١	٩٢
العراق ١٩٤٧	ق	٥ سنة فأكثر	٨٩	٨١	٩٦
تركيا ١٩٥٠	ق٠ك	١٥ سنة فأكثر	٦٨	٥٢	٨٣
الولايات المتحدة ١٩٥٢	ق٠ك	١٤ سنة فأكثر	٣	٣	٢
الاتحاد السوفياتى ١٩٣٩	ق٠ك	٩ سنة فأكثر	١٩	٩	٢٧
فرنسا ١٩٤٦	ق٠ك	١٥ سنة فأكثر	٣	٣	٤
السويد ١٩٤٥	ق٠ك	٧ سنة فأكثر	–	–	–

المصدر : Unesco: "Basic Facts and Figures", 1956

ملاحظة : يرمز ب ق على استطاعة القراءة فقط وب ك على قابلية الكتابة وب ك٠ق على قابلية القراء والكتابة معا ٠

الفصل الثانى

مستوى التعليم

يشير الجدول التالى الى مقارنة بين نسبة السكان فى المدارس الابتدائية والثانوية والتكنيكية من جهة ونسبة السكان فى المدارس الابتدائية من جهة ثانية • ومن قراءة هذا الجدول يتبين لنا بوضوح مقدار النقص الذى يصيب الدراسات التى تلى التعليم الابتدائى بالنسبة للتعليم الابتدائى فى الاقطار المتخلفة • الا ان ذلك لا يعنى على كل حال ان التعليم الابتدائى لا يلحقه تأخر فى هذا الشأن ، وربما فاق هذا التأخر تأخر التعليم « العالى » من الناحية المطلقة خصوصا لو أخذنا بنظر الاعتبار ارتفاع نسبة السكان الذين تتراوح أعمارهم بين ٥ ـ ١٥ سنة كما هو موضح فى الجدول :

القطر	السنة	نسبة السكان بين ٥ـ١٤ سنة	نسبة السكان فى المدارس الابتدائية	نسبة السكان فى المدارس الابتدائية والثانوية والتكنيكية
الجزائر	١٩٥٤	٢٤–٢٧	٤ر٥	٤ر١
مصر	١٩٥٥	٢٣–٢٥	١٠ر٣	٩ر٧
البرازيل	١٩٥٤	٢٤–٢٥	٩ر٢	٧ر٩
الهند	١٩٥٣	٢٣–٤٥	٧ر٣	٥ر٦
اندونيسيا	١٩٥٤	٢٢–٢٧	٩ر٣	٨ر٧
باكستان	١٩٥٤	٢٢–٢٧	٦ر٩	٥ر٢
العراق	١٩٥٥	٢٢–٢٧	٨	٦ر٨
اليابان	١٩٥٥	٢١–٢٣	٢٢ر٧	١٢ر٧
ايطاليا	١٩٥٣	١٦–١٨	١٢ر٥	٩ر٦
بلجيكا	١٩٥٤	١٣ر٧	١٤ر٨	١٠ر٢
فرنسا	١٩٥٤	١٥ر٣	١٤ر٧	١١ر٤
الولايات المتحدة	١٩٥٥	١٨ر٤	١٢ر٢	١٧ر٦

المصدر : تقرير هيئة الامم المتحدة عن الوضع الاجتماعى فى العالم ، ١٩٥٧ •

ان الصورة التى يعكسها هذا الجدول تبعث على التشاؤم ، وبالرغم من ان نسبة التعليم منخفضة فانهـا لا تتطور مع مرور الزمن • وتزداد النقطة الاخيرة هذه وضوحا لو أخذنا فترة زمنية طويلة نسبيا • والجدول التالى الذى ثبتـــه Baugnée A. Liu يظهر بوضوح نسبة التطور فى التعليم خلال فترة النصف الاول من القرن الحالى لجملة من الاقطار المتخلفة •

القطر	الفترة	نسبة الانخفاض فى الامية	نسبة التطور لمدة عشر سنوات
الهند	١٩٠١–١٩٣١	٣ر١	١
مصر	١٩٠٧–١٩٢٧	٦ر٢	٣
البرازيل	١٩٠٠–١٩٤٠	٩ر٢	٤
تركيا	١٩٣٥–١٩٣١	٩ر٨	١٢
ايطاليا	١٩٢١–١٩٣١	٤ر٩	١٨
المكسيك	١٩٣٠–١٩٤٠	٩ر٧	١٥
فرنسا	١٩٠١–١٩٤٦	١٣ر١	٣٠
فنلندا	١٩٠٠–١٩٣٠	٤٥ر٣	٣٧

المصدر :

"Measuring Progress of literacy in the general population" : Proceedings on the world population conference, 1954, Vol. IV p. 1015.

ان نسبة الامية العـامة تصبح عاجزة عن التعبير عن مقـدار تردى الشروط الثقافية فى الاقطار المتخلفة اذا لم نأخذ بنظر الاعتبار عدد التلاميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية • فاهمية هذا العدد يمكن ان تعتبر القاعدة الاساسية أو نقطة الانطلاق لـكل تطور فى هذا الشأن • والجدول التالى يشير الى نسبة هؤلاء التلاميـذ بالمقارنة مع مجموع السكان لمناطق العـالم المختلفة وذلك فى حوالى سنة ١٩٥٥ •

المنطقة	عدد السكان (بالملايين)	عدد التلاميذ (بالملايين)	النسبة المئوية
العالم	٢٦٩١	٥٠٠-٥٥٠	١٨ر٦-٢٠ر٤
امريكا الشمالية	١٨٣	٤٣-٤٦	٢٣ر٥-٢٥
امريكا الجنوبية	١٨٣	٣٩-٤١	٢٠ر٧-٢١ر٨
آسيا (عدا الصين والاتحاد السوفياتى)	٨٨٠	١٧٠-١٨٥	١٩ر٣-٢١
الصين	٦٠٠	١٠٠-١٢٠	١٦ر٦-٢٠
اوربا (عدا الاتحاد السوفياتى)	٤٠٩	٧٠-٧٣	٣٨-٣٩
الاتحاد السوفياتى	٢٠٠	٤٢-٥٠	٢١-٢٥

وهكذا تتضح ضرورة التمييز بين التعليم « الابتدائى » و « الثانوى » من جهة وبين التعليم « العالى » من جهة ثانية فيما يتعلق بالاقطار المختلفة بصورة خاصة • ففى هذه الاقطار لا يمكن للتعليم الثانوى أن يعد أكثر من استمرار لمرحلة التعليم الابتدائى • وكالتعليم الابتدائى ، فالتعليم الثانوى هو الآخر لا يمكن أن يهيىء أية ثقافة خاصة فى أى فرع من فروع العلوم • ومن جهة ثانية فليس الا ابتداء من هذا التعليم حيث تطرح المسائل الكبرى فى هذا الميدان وحيث يمكن تكوين الكوادر الضرورية لكل تطور ولكل حضارة •

ان المسألة تزداد خطورة لو أخذنا بنظر الاعتبار الحلقة المفرغة التى يدور بها سكان هذه الاقطار • فتأخر التعليم الابتدائى والثانوى يقود الى حد ما نحو تأخر التعليم « العالى » • نقول الى « حد ما » بالنظر لان شروط التعليم

1. Unesco, "Basic Fact" p. 15.
2. Demography Yearbook, U. N., 1956.

الابتدائى بصورة خاصة تتضاعف مساوئها لاسباب خارجة عن ارادة الافراد ولها تعلق مباشر بالسياسة العامة • ان هذه الصعوبات جميعها تؤدى الى صعوبة تكوين الكوادر الضرورية للنهوض بالتعليم ولتحسين شروط الثقافة الاساسية ولتطور النواحى الاجتماعية الاخرى •

وهكذا يفسر الجهل المطبق الذى يخيم على المجتمعات المتخلفة •

ولاظهار أهمية هذا الجهل مرة اخرى نود أن نقول قبل كل شىء بأن أسبابه يجب أن لا تقتصر على الاسباب الداخلية التى ذكرت فى أعلاه • فلاجل ادامة سيطرة الاقطار ذات النظم الرأسمالية المتطورة صناعيا على الاقطار المتخلفة فان من الواضح ان ليس من مصلحتها وجود العدد الكافى من الخبراء الوطنيين فى هذا الميدان • فالجامعات ، ان وجدت غير قادرة حتى لاستيعاب العدد القليل من الطلاب •••

ولعلنا نجد فى صناعات البترول خير مال على ذلك • فالتكوين التكنيكى والمهنى حتى فى هذه الصناعات لا يكاد يوجد له أثر فى هذه الاقطار • ففى العراق مثلا وبالرغم من الانتاج الكبير والمتنامى للنفط فان « شركة نفط العراق لم تؤسس فى سنة ١٩٥٠ سوى مركز واحد للتكوين التكنيكى حيث يؤمن التعليم بواسطة شخصين فقط »[٣] •

ومثال آخر حول الكونغو • فبعد ٢٤ سنة من النظام الاستعمارى البلجيكى ، لا وجود لاى طبيب كونغوى أو مهندس أو استاذ أو طيار أو ضابط • • ويوجد مع ذلك اربعة اساقفة ومئات الكهنة والقسس[٤] •

ولاجل اظهار الضعف العام فى نسبة الطلاب الذين يواصلون الدراسات « العليا »، نرسم الجدول التالى الذى يبين هذه النسبة بالنسبة الى عدد السكان الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ـ٣٠ سنة •

---

(٣) راجع الدكتور مجيد عزت فى « النفط فى الاقتصاد العراقى » اطروحة للدكتوراه ـ جامعة باريس •

(٤) راجع مجلة

Cahiers Internationaux, No. 114, Paris, p. 62. 1960.

القطر	السنة	عدد الطلاب المسجلين	عدد السكان بين ٢٠ـ٣٠ سنة	النسبة المئوية
مصر	١٩٥٣	٤٩٨٧٠	٢٨٥٦٠٨٤	١ر٨
المكسيك	١٩٥١	٣٦٣٥٤	٧٥٠٧٥٤٥	٠ر٥
البرازيل	١٩٥٤	٦٤٣٥١	٩١٢٣٤١٠	٠ر٧
فنزويلا	١٩٥٢	٢٥٤٤	١٢١٩٠٨٩	٠ر٢
العراق	١٩٥٣	٥٢٢٣	٤٨٦٦٩٢	١ر٨
اليابان	١٩٥٤	٥٠٦٢٩٢	١٣٨٧٩٠٠٠	٣ر٨
فرنسا	١٩٥٣	١٤٥٨٦٥	٥٢٢٠٩٦٨	٢ر٧

المصادر :

1. Unesco: "Basicfacts ... " p. 33.
2. Demographic Yearpook, U. N.

ان مقدار ما يصيب هـذه الناحيـة من تأخر يفوق التأخر الذى يلحق بنسبة الامية العامة • ويمكن توضيح ذلك بواسطة الجدول التالى الذى يبين الاختلاف فى نسبة الاميـة حسب الاشـخاص الذين لا تتوفر فيهم شروط الثقافة المتخصصة •

القطر	السنة	نسـبة الامين بالنسـبة لمجموع السكان بضمنهم الاشخاص ذوو الثقافـة غير الاختصاصية	يدون الاشخاص ذوو الثقافة غير الاختصاصية
البرازيل	١٩٤٠	٧ر٥٦٪	٨ر٥٦٪
شيلى	١٩٤٠	٨ر٢٥٪	٤ر٢٦٪
الفيليبين	١٩٤٨	٨ر٣٧٪	٧ر٣٨٪
البرتغال	١٩٤٠	٧ر٤٨٪	٤ر٥٠٪
فرنسا	١٩٤٦	٣ر٣ ٪	٤ر٣ ٪

المصدر : الامية فى العالم ، ص ٢٣ •

ان من الجائز اعتبار هـذا النقص فى التعليـم الابتـدائى والعالى سببا ونتيجة لارتفاع نسبة الامية العامة فى الاقطار المتخلفة • الا أن كلا من تأخر هذا التعليم وزيادة نسـبة الاميـة يعزى الى تأخر الشـروط الاقتصـادية والاجتماعية بصورة مباشرة وغير مباشرة • وسنعنى الآن بشرح هذه العلاقة غـير المباشـرة للموضوع الذى نحن بصـدده • اذ لا يكفى ، لاجل بحث الموضوع ، من حيث الوقائع ، أن نقتصر على النتائج البسيطة ، أى على عدد الاميين ، بل يجب ايضا شرح هـذا النقص على النطاق الاقتصادى • فليس بالامكان دراسـة عـدد المتعلمين بدون دراسـة أهميـة التأسيسات التعليمية والتثقيفية • وهذا ما سنتناوله الآن بالبحث •

الفصل الثالث

تخلف العوامل الاساسية للثقافة

يعتبر التأخر الذى نحن بصدد شرحه فى هذا الفصل السبب فى نقص التعليم العام والثقافة الاساسية بنفس الوقت الذى يمكن فيـه اعتبـاره نتيجة أو شرطا من شروط التأخر العـام للثقافة • وبمعنى آخر فان كل دراسـة لعلاقة سبب و مسبب ليس لها صلة مباشرة بالشروط العامة للثقافة الاساسية لا يمكن أن تكون موضوع عنايتنا فى هذا البحث ، فذلك بشـكل موضوعا آخر يتعلق بدراسة اقتصادية بحتة حيث يعتبر التخلف الاقتصـادى السبب المباشر فى ذلك • ان مصدر الاهمية الكبرى لهذه الدراسة ترجع الى كون هذا العامل متأخرا ولانه يسبب تأخرا أعم وأهم فى حقل التعليم •

ان عددا من هذه العوامل ليست ذات علاقة مباشرة بالثقافة ولكنها مع ذلك تلتقى معها عندما تدرس كعناصر ذات أثر معين ضـد تقـدم التعليم • ونحن نحاول بحثها هنا بسبب اعتبارنا اياها وسائط مباشرة للثقافة •

ولاجل اظهار الاهميـة ، الكمية والنوعية ، لهـذه العوامل يستحسن تقسيمها الى ثلاثة أصناف : الصنف الاول يتعلق بالكادر المعلم Personnel Enseignant والثانى يتعلق بالمؤسسات الثقافيـة والثالث يختص بوسائل التعليم ونشر الثقافة العامة •

أولا ـ نقص فى الكادر المعلم

تتعلق المسألة الأن بالنقص الكمى فقط كعدد التلاميذ بالنسبة لكل معلم مثلا • الا أن مقياس « عدد التلاميذ لكل معلم » يشوبه النقص على أى حال وذلك لان الاهمية النسبية للمعلمين تبقى مع ذلك مرتفعة فى الاقطار المتخلفة • والسبب فى ذلك يرجع الى كون التعليم وخصوصا الابتدائى منه يشكل وسيلة للعيش تتميز بالسهولة النسبية • كما يرجع السبب ايضا الى تأخر نظام التعليم فى هذه الاقطار • وقد ميزنا بالفعل بين الدراسات الابتدائية وبين الدراسات العليا • وقد أشرنا الى « السهولة » النسبية للدراسات الاولى • كما يفسر ذلك ايضا بواسطة « التضخم » غير الاعتيادى للقطاع الثلاثى •

ومن جهة اخرى ينتج عن هذه « السهولة النسبية » للدراسات الاولى عدد مرتفع نسبيا بالنسبة للاشخاص الذين يجيدون القراءة والكتابة وليس بالنسبة لمجموع السكان وبالرغم من هذه التحفظات فان المقياس الذى نحن بصدده لا يبقى عاجزا عن اظهار التأخر الذى يلحق بالاقطار المتخلفة فى هذا الشأن بالنسبة للاقطار المتقدمة • والجدول التالى يبين ذلك بوضوح :

القطر	السنة	عدد المعلمين	عدد التلاميذ لكل معلم العدد	التطور
مصر	١٩٥١	٥٠٨٤٤	٢٩	٢٩ (١٩٥٥)
المكسيك	١٩٥٢	٧٥٩٥٨	٣٩	٤٠ (١٩٥٤)
الهند	١٩٥١	٥٦٤٧٣٠	٣٤	٣٣ (١٩٥٣)
العراق	١٩٥٥	١٠٧٣٠	٣١	٣٤ (١٩٥٨)
تركيا	١٩٥٠	٣٥٧٠٠	٤٥	٤٥ (١٩٥٥)
اليابان	١٩٥٤	٣٣١١٠٧	٣٥	٣٦ (١٩٥٥)
فرنسا	١٩٥٢	١٥٣٨٣٢	٢٩	
السويد	١٩٥٢	٣١٨٤٥	٢٢	٢٣ (١٩٥٣)
انكلترة		١٥٢٩٨٢	٣٠	٣٠ (١٩٥٣)

المصادر :ـ تقرير لهيئة الامم المتحدة عن الوضع الاجتماعى فى العالم ، المصدر السابق •••

ـ اليونسكو : ... Basic Facts

٢ ـ التخلف فى مجال المؤسسات الثقافية

يشمل هذا التخلف الناحيتين الكمية والنوعية على السواء • فاضافة الى نقص عدد هذه المؤسسات هناك مسألة عدم توفر الشروط الصحيحة فى هذه المؤسسات ، مثل نقص التجهيزات المدرسية فى القاعات والصفوف •

ومن الجدول التالى يمكننا أن نوضح هذا التأخر فى عـدد المؤسسات التعليمية وعدد المكتبات والمتاحف :ـ

القطر	السنة	عدد مؤسسات التعليم العالى لكل ١٠٠ر٠٠٠ شخص	عدد المكتبات	عدد المتاحف
مصر	١٩٥٥	٢٣٢	٨١	٢١
المكسيك	١٩٥١	٢٠٧	٢٢٣	٠٠
البرازيل	١٩٥٤	١١٧	٢٨٨٣	١٣١
الهنـــد	١٩٥٣	١٤٧	٢٤٧٧٣	٧٤
العراق	١٩٥٥	١٢٥	٢٣	١١
تركيا	١٩٥٥	١٠١	٧٢	٥٢
اليابان	١٩٥٥	٦٨٦	٣٠٧٠٥	٢٠١
ايطاليا	١٩٥٣	٢٩٠	٤٨٦	٨٣٩
فرنسا	١٩٥٤	٤١٠	٣٥٩	١٠١١
الولايات المتحدة	١٩٥٥	١٨١٦	١١٢٣٣٣	٠٠٠
الاتحاد السوفيتى	١٩٥٥	٦١٣	٣٩٤٠٠٠	٤٨٩

المصادر :

1. O. N. U. "Rapport sur la situation sociale ... "

2. Unesco: Basic Fact ...

3. L' office Central de Stotistique pres de Couseil des ministres de l' urss, 1958.

٣ ـ تأخر وسائل الدعاية والنشر للثقافة العامة

لا يقتصر الهدف من التثقيف على مجرد محو الامية ولا على مجرد تطوير التعليم ولكنه يجب أن يشمل ايضا تطوير الثقافة العامة وتطوير المعلومات الخاصة الضرورية التى تتميز بها كل أمة فى تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى •

ان تشييد المدارس لتعليم الطلاب القراءة والكتابة والحساب ••• الخ لا يعتبر كافيا للقضاء على الامية ونشر الثقافة العامة • وتتضح هذه النقطة بصورة جلية فى المجتمعات التى تتميز بالتخلف العام وعندما تكون الاغلبية الساحقة من السكان تشكو ـ نتيجة لذلك ـ من الجهل المظلم • فان مسألة جهل أهمية الثقافة وضرورتها تصبح ظاهرة طبيعية كظاهرة التخلف الثقافى نفسها •

لئن لم يكن صعبا التأكيد على رغبة شعوب هذه الاقطار فى القضاء على الامية ، فانه بامكاننا أن نؤكد ان هذه الشعوب ليست يقظة بعد ولا شاعرة تماما فى الضرورة القصوى للثقافة والتعليم ، اذ يعوزها الحماس فى هذه المسألة الملحة(٥) •

كما ينتج هذا الوضع عن التأخر الاقتصادى والاجتماعى الذى تشكو منه هذه الاقطار فانه ينتج عن عدم وجود سياسة ايجابية تهدف الى محاربة الامية والى نشر وسائل تعليم القراءة والكتابة وشن حملة تثقيفية شاملة غايتها محو الامية فى كل طبقات السكان وبعث اليقظة فى هذه الشعوب والهاب حماسهم الجماهيرى نحو منافع الثقافة •

ان من الوسائل المهمة التى تساعد على تحقيق هذه الاغراض هى الراديو والسينما والصحافة • ولذلك نجد منظمة اليونسكو تلخص الخدمات التى باستطاعة هذه الوسائط تقديمها فى هذا المجال حينما تؤكد بأن هذه الوسائل يمكن أن تسهم فى ذلك « ••• قبل كل شىء باعتبارها مساعدة

---

(٥) للزيادة فى تفصيل هذه النقطة تشير الى كتاب اليونسكو : « الشباب والثقافة الاسلامية » ١٩٥٤ •

ومكملة للتعليم المدرسى ولتعليم القراءة والكتابة للبالغين بتكملتها الدروس والكتابة ، وباعتبارها وسيلة أساسية للتعليم فى حالة نقص عدد المعلمين وفى الحالات التى تكون فيها الجماهير عاجزة عن اقتناء الكتب وامتلاكها »[٦] .

لم تزل هذه الوسائل غير كافية لاداء هذه المهمة فى جميع الاقطار المتخلفة . والجدول التالى يوضح ذلك بجلاء :

القطر	استهلاك ورق اصحف كغم للشخص الواحد	عدد أجهزة الراديو لكل ١٠٠٠ شخص	عدد الافلام المنتجة لسنة ١٩٥٤
مصر	٤	٢٩	٦٣
المكسيك	٤ر١	٦٩	٦٧
البرازيل	٢ر٨	٦١	٢٩
الارجنتين	٤ر٣	١٥٨	٤٣
اندونيسيا	٠ر١	٤	—
الهند	٠ر٢	—	١٧٤
العراق	٠ر٢	١٣	—
تركيا	٠ر٧	٤١	٤٠
ايطاليا	٠ر٧	١١٦	٢٠١
فرنسا	٩ر٤	٢١٠	٩٨
السويد	٢٢	٣٣١	٣٧

القسم الثانى

بعد دراسة الوقائع وشرحها وبعد تثبيت مقدار التأخر فى شروط الثقافة الاساسية والتعليم فى الاقطار المتخلفة نحاول دراسة نتائج هذا التأخر على النواحى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الاقطار .

---

(٦) اليونسكو : « الثقافة الاساسية » باريس ١٩٥٠ . ص ٤٣ .

النتائج الاقتصادية والاجتماعية لشروط التعليم فى الاقطار المتخلفة

ان التأثير المتبادل بين التطور الاقتصادى وبين الثقافة واضح بصورة جلية • فاذا كان تأخر الشروط الاقتصادية والاجتماعية[٧] يؤثر بصورة سلبية فى تطور شروط التعليم فان شروط التعليم تزيد ايضا فى خطورة حالة التخلف الاقتصادى وتعمل بالتالى على تعويق تطبيق كل برنامج تطورى لهذه الاقطار • ان تأثير شروط التعليم يقع على شكلين :

- تأثير ارتفاع نسبة الامية •
- تأثير تأخر نظام التعليم « العالى » •

ان ضرورة هذا التمييز تكون واضحة فى حالة ارتفاع نسبة الامية بصورة كبيرة • ففى الاقطار التى تكون فيها هذه النسبة منخفضة تقل أهمية هذا التمييز • وفى الاقطار المتخلفة يكون احتمال النسبة العالية للامية فى تعويق التطور الاقتصادى كبيرا •

ان من الصعب ، ادراك تحقيق أى تطور فى أى ميدان بدون تحقيق حد أدنى من الثقافة العامة •

ان الشخص الذى يتميز بتوفر هذا الحد عليه أن يكون قادرا على :

أ ـ تكلم وفهم لغته بصورة واضحة وسهلة •

ب ـ قراءة النصوص الضرورية لحياته اليومية •

جـ ـ قادرا على التعبير عن آراءه كتابة •

---

(٧) من الضرورى ان نشجب بشدة أفكار Poniatowsty الانانية السواد اذ يدعى ان « ... الموارد المالية والاقتصادية لقطر ناشىء لا تساعده دائما فى ضمان التعليم والثقافة لعدد كاف من الاطفال • » لانه من الواضح جيدا انه ليس النقص ـ والمشكوك فيه أيضا ـ فى هذه الموارد هو الذى يسبب تدهور شروط التعليم فى هذه الاقطار ، ولكن جملة من الاسباب المتداخلة : اقتصادية وسياسية واجتماعية ... راجع فى ذلك أيضا :

— A. Sauvy "Thèorie Génésale de la population" Vol. II. p. 300.

— Poniatowsky "L' Avenir des pays Sous - développés p. 95.

د ـ اجراء عمليات حسابية بسيطة •

هـ ـ معرفة بعض المعلومات فى التاريخ والحضارة وتأسيسات مجتمعه وقطره •

و ـ معرفة بعض المفاهيم فى العلاقات التى تربطه بالعالم الخارجى[٨] •

يمكن تقسيم نتائج الجهل فى التطور الاقتصادى والاجتماعى الى قسمين : النتائج المباشرة والنتائج غير المباشرة •

الفصل الاول

النتائج المباشرة للجهل

من الواضح ان النسبة المرتفعة للامية بين الطبقات العاملة والفلاحية بصورة خاصة تلعب دورا سلبيا فى تطور القوة الانتاجية للعمل • فبدون حد أدنى من المعرفة التكنيكية مثلا فان الانتاج الزراعى سوف يتأثر كثيرا • وبالنسبة للانتاج الصناعى فان عدم توفر حد أدنى من التعليم الصناعى الابتدائى لدى العمال يمكن أن يؤدى الى تأخر شديد فى تطور الانتاج الصناعى بصورة خاصة والانتاج الاقتصادى بصورة عامة • ويؤكد تقرير لهيئة الامم المتحدة ما نذهب اليه بقوله : « •• بالرغم من أن عمليات عديدة فى الصناعة الحديثة لا تتطلب من العامل كفايات خاصة أو معارف عامة عميقة فان مستوى التعليم المنخفض لسكان أغلب الاقطار المتخلفة يمكن أن يعتبر بدون أدنى شك عائقا جديا للتطور الصناعى فى هذه الاقطار • ان هذه الظاهرة هى اليوم أكثر وضوحا بالنسبة لحالة الجهل لسكان اوربا فى بداية فترة التصنيع عندما كانت الوسائل التكنيكية المستعملة آنذاك أكثر بساطة • وعلاوة على ذلك فان على العامل أن يتوفر لديه نوع معين من التثقيف لكى

---

(٨) Levy: Les Critères du sous - déueloppeweut" Le Tiers Monde.

يستطيع أن يتكيف بنجاح لعمل المصنع ولكى يستطيع أن يندمج فى الحياة المدنية »[٩] .

بالنظر لان الهدف المنشود من التعليم هو « الاستعمال الاكثر كمالا للموارد المحلية ... » وبالنظر لان باستطاعة الجمعيات التعاونية « أن تقدم الكادر الاجتماعى الذى يسمح للسكان نفسه بأن يملك بين يديه الوسائط الضرورية للنمو » فان من الممكن تصور وجود علاقة وثيقة بين الثقافة الاساسية ومستوى الحياة[١٠] .

ومن جهة اخرى فان عجز الاطفال المنتمين الى الطبقات الفقيرة أن يساهموا فيما بعد فى التطور الاقتصادى والاجتماعى نتيجة لانخفاض مستواهم الثقافى سيشكل خسارة جسيمة فى الجهود والطاقات .

ان هذه الخسارة المضاعفة تشكل اذن عائقا حقيقيا لكل تطور تكنيكى ولكل تقدم اقتصادى واجتماعى[١١] . ويبدو من ذلك انه بدون مستوى معين من الثقافة فان تكوين الكوادر الضرورية من الاشخاص الاداريين والمعلمين والمرشدين ... الخ سيلاقى صعوبات لا يسهل تذليلها .

الفصل الثانى

النتائج غير المباشرة للجهل

بالامكان اجمال هذه النتائج فى النقاط الثلاث التالية :

١ ـ النتائج فيما يتعلق بالصحة العامة .

٢ ـ النتائج فيما يتعلق بمستوى الحياة .

---

(٩) U. N. "Methodes et probleues de l'industriolisation des pays sous. deueloppes, p. 24.

(١٠) Unesco: "Education de base p. 15.

(١١) لزيادة فى الايضاح حول هذه النقطة راجع :
Unesco, "Jeunesse et Education de base

٣ ـ النتائج فيما يتعلق بالتكامل الوطنى لمختلف الطبقات والاقليات الاجتماعية •

١ ـ نتائج الجهل على الحالة الصحية :

ان الجهل المطبق لسكان الاقطار المتخلفة يمكن أن يكون مصدرا لعديد من الامراض تفسر ـ الى حد كبير ـ الانخفاض العام فى المستوى الصحى لهذه الاقطار •

ان قلة الرجوع الى الوسائل الطبية الحديثة فى حالة الاصابة بمرض ما فى هذه المجتمعات يعزى الى تخلف العوامل الاقتصادية والى التأخر فى المفاهيم والعادات والتقاليد الاجتماعية والنفسية • اذ ليس من النادر مثلا أن يستسلم المريض لكثير من الامراض معتبرا اياها بحكم من القضاء والقدر الذى لا مفر منه • وبالاضافة الى ذلك فان الرجوع الى الطب فى الوقاية والمعالجة لا زال بعيدا عن امكانياتهم الثقافية ، وبعيدا أكثر من ذلك عن امكانياتهم المادية • وليس من المستبعد أن نشاهد بعض القبائل والفصائل البشرية المتأخرة يحملون أفكارا تنم عن كراهيتهم وتشاؤمهم بالنسبة للطب الحديث •

واضح من ذلك ان الامر لا يتعلق بثقافة علمية خاصة وانما يتعلق بتعليم ابتدائى من شأنه أن يسمح بحد أدنى من التثقيف فمحاربة الجهل تعنى اذن مكافحة هذه الميول « العدائية » الموجهة ضد الطب •

أما بالنسبة للمجتمعات التى تتميز بقليل من التقدم بالنسبة للشعوب السالفة الذكر نجد ان هذه المرحلة من المعلومات الطبية المتعلقة بالمعالجة البدائية غير كافية لمكافحة هذه الامراض • ففى هذه المجتمعات حيث وجود الطب معترف به على نطاق واسع يصبح من الضرورى العمل على تطوير الوسائل اللازمة والفعالة لمكافحة هذه الامراض • فلم يعد الامر يعنى النقاش فى موضوع وجود الطب ولكن فى العمل على افهام الجماهير أهميته وفوائده • فأصبحت الظروف الآن تقتضى توفر ثقافة طبية • الا أن سكان

جميع الاقطار المتخلفة تشكو التخلف فى هذا الميدان ، فجهل طرق مكافحة الطفيليات والاخطار الناجمة عنها على الصحة العامة وعدم معرفة أهمية تعقيم المياه المستعملة للتغذية وطرق تحضير الاطعمة الصحية وعدم ادراك الاخطار التى تنجم عن تراكم الاوساخ والجهل فى معرفة الاخطار التى تسببها انتشار الامراض المعدية ... الخ كل ذلك يفسر مقدار التأخر الشديد فى مجال الصحة العامة للاقطار المتخلفة .

ولاجل كل ذلك ومن اجل تحسين الحالة الصحية لسكان هذه الاقطار يصبح من الضرورى توفير حد أدنى من الثقافة لكل فرد : والا فان الطب العلاجى سيصبح عديم الجدوى . اذ ما هى الفوائد المتوخاة من المستشفيات والمصحات والمراكز الصحية والعيادات ... الخ اذا لم تعترف الجماهير بضرورة الرجوع اليها أو اذا جهلت اهميتها ؟ وماذا يمكن أن يعمل الطبيب والموظف الصحى والصيدلى ان لم تتوفر الارادة لدى الافراد للاعتراف بهم وبأهميتهم فى مكافحة المرض . وهكذا فان الصعوبات الثقافية والاجتماعية المتولدة عن الصعوبات المادية قد أضيفت الى هذه الاخيرة لتزيد فى خطورة الموضوع .

٢ ـ نتائج الجهل فى مستوى الاستهلاك :

تؤدى الثقافة فى موضوع التغذية دورا مضاعفا : الاول يتعلق بالعمل على تحفيز الطلب على الاستهلاك وبالتالى تشجيع انتاج بعض المواد التى بقى استهلاكها ـ بسبب الجهل ـ منخفضا . ان هذا الجهل يقود فى بعض مناطق الاقطار المتخلفة الى الاعتقاد بأن استهلاك مثل هذه المواد يلحق ضررا بالصحة العامة بالرغم من حقيقة كونها ذات قيمة غذائية عالية . والامثلة على ذلك عديدة : ففى منطقة الـ Grenade فى (Antilles) يعتقد السكان بأن استهلاك الحليب يسبب وجود الديدان والطفيليات عند الاطفال . وفى السنغال يعتقد الكثير بأن حليب الحيوانات يعد مصدرا أساسيا لكثير من الامراض . وفى بعض مناطق تنجانيقا يحرم استهلاك الحليب والبيض على

النساء وفى مناطق عديدة من أوغندا يحرم استهلاك الحليب على النساء[١٢] • كذلك الامر بالنسبة للهنود الذين يحرمون استهلاك لحوم ومنتجات البقر وبالنسبة للمجتمعات الاسلامية التى تحرم استهلاك منتجات الخنازير • ان ذلك يعود بضرر مضاعف على هذه الاقطار • فمن جهة يفقد الافراد مواد غذائية ضرورية للصحة العامة • ومن جهة اخرى تفقد هذه الاقطار فى حالة اهمالها تربية مثل هذه الحيوانات مواردا هامة قد تغنيها عن تخصيص مبالغ نقدية لاستيراد مواد غذائية • كما يمكن أن يكون انتاج هذه المواد موضوعا للتصدير نحو الخارج •

أما الدور الثانى الذى يمكن للثقافة الغذائية أن تلعبه فيتلخص بتحسن الصحة العامة • ان هناك كثيرا من الاغذية التى تتميز بقيمة غذائية عالية ليست فى متناول الطبقات الفقيرة وحتى المتوسطة بل حتى الغنية فى كثير من الاقطار المتخلفة وذلك بسبب الجهل • والامر الاكثر غرابة هو ان سكان هذه الاقطار بالرغم من الاهمية النسبية للانتاج الزراعى فيها تتميز بنقص كبير فى استهلاك منتجات القطاع الابتدائى •

ان على السياسة الاقتصادية الواجب اتباعها فى هذه الاقطار الاهتمام بهذه النقطة المهمة وان توفر الامكانيات اللازمة لمعرفة حاجات الاستهلاك للافراد سواء على النطاق الفردى أم على النطاق الجماعى • كما انه من الضرورى جدا العمل على تطوير التعليم المنزلى من أجل أن يكون الاستهلاك الغذائى متوازنا ومنتظما وصحيا • ان الاقطار المتخلفة جميعها تشكو التخلف فى هذا الميدان ايضا • وانها لنتيجة حتمية لتردى الشروط الاجتماعية للمرأة بصورة خاصة فى هذه المجتمعات • فالجهل المطبق للمرأة لا يقتصر على نطاق الاقتصاد المنزلى : كوسائل تحضير الغذاء فى المنزل وتنظيم الاسرة والتربية الاولية للاطفال ولكن ايضا يؤدى « الى اعاقة المرأة فى أن تكون

---

(١٢) ان هذه الامثلة مقتبسة من كتاب لفورو Gourou حول الاقطار الاستوائية Pays Tropnloul, p. 85-86.

زوجها رفيقا حقيقيا وتحرم الاجيال القادمة من حقها فى التمتع بأمومة نيرة وقادرة على تكوين الشخصية المادية والمعنوية والفكرية للاطفال فى السنوات الاولى من عمرهم حيث يتميز الطفل فى هذه المرحلة من الحياة باللين والطاعة والمرونة »[١٣] .

٣ ـ تأثير الجهل فى التكامل الوطنى لمختلف الطبقات والاقليات الاجتماعية :

ان التمييز discrimination الاجتماعى فى موضوع التعليم يشتد حدة فى الاقطار المتخلفة بصورة خاصة حيث يكون التقسيم الاجتماعى للسكان الى شيع ومذاهب وأقليات متعددة ومعقدة وحيث تكون الشروط الاجتماعية للمرأة بصورة خاصة متأخرة جدا وحيث تكون الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين السكان الريفى والسكان المدنى على أشدها . كل هذه الظروف الشاذة تعمل على عرقلة انتشار الثقافة واشاعتها على جميع انحاء القطر الواحد بصورة متكافئة وبدون تمييز على أساس العنصر أو الدين أو الثروة أو الجنس ... الخ وليس غريبا أن نجد التعليم بمختلف مراحله لا يخدم سوى فئات معينة دون اخرى وأن تكون قد حرمت منه الاغلبية الساحقة للسكان التى لم تسمح لها الفرص ولم تؤهلها الامكانيات أن تنال نصيبها من الثقافة . ولم يعد كافيا بعد ذلك أن نفسر سبب هذا التأخر على النطاق الفردى . بل يجب أن نبحث اين تكمن الاسباب الاساسية لهذا التأخر . وليس من شك فى أن تأخر النظام الاقتصادى والاجتماعى وتأخر التركيب الاقتصادى ـ السياسى داخل وخارج القطر هى التى يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند بحث مسؤولية تدهور هذا الوضع .

ولعل اكثر الامثلة وضوحا فى هذا المجال هو النظام شبه الاقطاعى فى كثير من هذه الاقطار وخصوصا تلك التى لم تتحرر بعد من ربقة

---

(١٣) اليونسكو « الثقافة الاساسية » ص ٢٢ .

الاستعمار • فظروف الفلاح المادية والاجتماعية التى تمنع ابنه من ان ينال نصيبه من التعليم والثقافة تلعب دورا اضافيا الى الدور الذى يلعبه الاقطاعى فى هذا الشأن • فابن الفلاح يجد نفسه امام صعوبة مضـــاعفة : الصعوبة الناجمة عن بؤس والده والصعوبة الناجمة عن علاقات الاستعباد التى تربط الفلاح بمالك الارض الاقطاعى • وهكذا فيصبح من السهل تفسير ليس فقط التأخر الثقافى، ولكن ايضا زيادة الفوارق فى مجال التعليم بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية • ومع ذلك فان باستطاعة التطور الثقافى أن يلعب دورا ايجابيا فى صالح التكامل الوطنى : فايجاد برنامج موحد للتعليم يشمل جميع الاقليات والطبقات الاجتماعية يشكل عاملا هاما فى هذا المجال • حقا سيكون عملا تمييزيا لو حرمت الاقليات المختلفة من تعلـم ودراسة تراثها القومى ولغاتها الخاصة • الا انه يصعب من الجهة الاخرى تبرير شرعية محاولة انكار اهمية التعلم بلغة الاكثرية • وليس من شك ايضـا فى ان انخفاض شروط ونوعية تعليم الاقليات ومنع اطفالهم من الدخول فى مدارس التعليم العام يشكل عملا تمييزيا صارخا • ان من الواضح بان التناسب يكون مطردا بين التخلف فى النظام الســياسى والاجتمـاعى وبين تقسيم السكان الى جماعات وفئات متباينة فى مختلف الميادين • ويؤدى ذلك بصورة لا تقبل الجدل الى التميز فى ميدان التعليم • الا انه من الجهة الثانية سيؤدى التأخر فى ميدان التعليم ووحدته على النطاق الاقليمى الى زيادة خطورة الوضع الاجتماعى فى الاقطار المعنية • وعلى ذلك فكلما كان التعليم وعلى الاخص الابتدائى منه عاما وشاملا كلما كان التفاهم والتكامل بين مختلف الجماعات والفئات الاجتماعية تاما وكلما كان حسنا تأثير ذلـــك على تطور التعليم بصورة عامة • وسيساعد ذلك على تطور التعليم بصورة عامة • وسـيساعد ذلك على التطور الاجتماعى والاقتصادى • وعلى أى حال فلا يجب ان يعنى تحقيق ذلك منع الاقليات من التعليم بلغاتهم المحلية • بل على العكس سيكون من السهولة ، بل من المفضل ان يجرى تعليمهم بلغاتهم القومية وان يؤكد على الاحترام تقاليدهم الثقافية • وتزداد هذه الحقيقة وضوحا كلما ازداد عدد

افراد كل اقلية • ففى الاتحاد السوفياتى مثلا بلغ عدد الاطفال الذين اجرى تعليمهم باللغة اروسية فى جمهورية اوكرانيا ١٢٢٨٤٠٠ طفل وباللغة الـ Moldave ٣٣٩٠٠ طفـل وباللغـة المجرية ١٧٥٠٠ طفـلا من مجمـوع ٥١٠٣٢٠٠ طفلا تم تعليمهم فى سنة ١٩٥٢ (١٤) •

ولاجل تحقيق مثل هذا الغرض فان هيئة الامم المتحدة ترى وجوب توفر الشروط الثلاث التالية :

١ ـ ان تكون الدروس ومناهج التعليم باللغات المختلفة فى النواحى التكنيكية على مستوى واحد مع مستوى المناهج التعليمية الاعتيادية •

٢ ـ ان تتوفر لدى معلمى المدارس الخاصة بتعليم هذه الفئات كفايات وقابليات تكنيكية على مستوى واحد مع الكفايات والقابليات المتوفرة فى الهيئة التعليمية للمدارس الاعتيادية •

٣ ـ واذا لم تتوفر لتلاميذ هذه الفئات المختلفة امكانيات اجراء مختلف مراحل التعليم ـ الدروس الابتدائية والثانوية العالية ـ بلغتهم الخاصة فيحق لهم على الاقل الدخول فى المؤسسات الاعتيادية على قدم المساواة مع التلاميذ الآخرين • ويبدو ضروريا لتحقيق هـذا الغرض تعليمهم اللغة الرسمية • ومع ذلك فلا يوجـد مجـال لانكار الفوائد العديدة التى يقدمهـا التعليم الاعتيادى اذا تم هذا التعليم بلغة واحدة وهى لغة الاغلبيـــة • وان هذه الفوائد لا تقتصر آثارها داخل القطر فقط بل تتعدى حـدوده لتدخل فى نطاق الثقافة العالمية ، وذلك يفترض بطبيعة الحال الاعتراف باللغة الرسمية هذه على النطاق العالمى وأن يتحقق انتشارها فى الخارج على نطاق واسع •

* * *

---

(١٤) راجع فى ذلك تقرير هيئة الامم المتحدة حول :
Mesures dicriminatoires dans le domaine de l'enseignement
المقدم من قبل charles Ammoun فى سنة ١٩٥٧ فى نيويورك •
وبصورة خاصة البحث الخاص بالثقافة فى جمهورية اوكرنيا الاشتراكية السوفييتية لسنة ١٩٥٢ Gregori Pichuk

وليس غريبا بعد هذا أن نستنتج بأن نظاما متطورا للتعليم يشكل عنصرا عظيم الاهمية لتحقيق التكامل والوحدة الاقتصادية والاجتماعية داخل الدولة الواحدة • فالاقطار المختلفة بصورة خاصة تبرهن عن حاجتها الماسة الى تحقيق مثل هذا الشرط بالنظر لضعف ، ان لم نقل انعدام مثل هذه الوحدة وهذا التكامل بين مختلف الفئات الاجتماعية للسكان • فالجهل فى ميدان التعليم يقود الى جهل أهمية الوحدة الوطنية • ويجهل الانسان بالتالى ما باستطاعته أن يقدمه من خدمات الى المجتمع كما يجهل الخدمات التى باستطاعة الآخرين تقديمها بنفس الوقت الذى يتحقق فيه جهله اياهم • وستنخفض حينئذ قوة العمل وتزداد حدة التخلف الاقتصادى والاجتماعى •